

الصدام
سمات وحقائق
حمد التميمي
بيت المقدس



1442 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

الصدام..

سمات وحقائق

لفضيلة الشيخ المجاهد:



بيت المقدس

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجه، أما بعد:

فإن من لازم وجود الحق والباطل وجود أهل الحق وأهل الباطل، ومن لازم ذلك هو الصراع ما بين الحق وحزبه والباطل وحزبه، ولهذا الصراع سمات وأحوال وخصائص بينتها النصوص الشرعية تتجلى لنا تاريخا ماضيا وواقعا حاضرا ونصا غيبيا مستقبلا، وكثير من المشكلات بين الجماعات والحركات الإسلامية وأزماتها ترجع في الحقيقة إلى عدم وعي فقه هذا الصراع أو وعيه والنأي عن الأخذ به، فجمعت في هذه الرسالة الخطوط العريضة لهذا الصراع وأبرز سماته وخصائصه.

سائلا المولى عز وجل ان ينفع بها المسلمين.

الاختلاف بين أهل الحق والباطل

جعل الله تعالى للكون سننا لا تتغير ولا تتبدل كما قال تعالى ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)﴾ [الأحزاب: ٦٢] ومن تلك السنن الاختلاف والافتراق بين أهل الحق وأهل الباطل، فافترق الناس على فرقتين متميزتين عن بعضهما البعض، متناقضتين، هما فرقة أهل الحق الممدوحين وفرقة أهل الباطل المذمومين، قال تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] ولا يزال هذا الاختلاف بين الفرقتين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وهذا الاختلاف الحاصل بينهم هو لازم تمييزه سبحانه وتعالى بينهم في تعامله مع الصنفين، وقد نفى الله تعالى في كتابه التسوية بينهم كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥)﴾ [القلم: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] أي: هل يستوي هؤلاء وهؤلاء ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)﴾ [الجاثية: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢]، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩] يعني: هل يستوي المسلم والمشرك؟! أي: من يعبد إلهاً واحداً وهو الله سبحانه وتعالى، ومن يعبد آلهة متعددة لا يستويان، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦)﴾ [النحل: ٧٥-٧٦] فلا يستوي هو ومن ينفق ويبذل ويجاهد في سبيل الله.

وقـال تعـالى: ﴿لَا يَسْـتَوِي أَصْـحَابُ النَّـارِ وَأَصْـحَابُ الْجَنَّـةِ أَصْـحَابُ الْجَنَّـةِ هُـمُ الْفَـائِزُونَ (٢٠)﴾ [الحشر: ٢٠].

الصراع بين الحق والباطل سنة كونية

وهذا الاختلاف الحاصل بين أهل الحق وأهل الباطل أوجد سنة إلهية كونية ماضية وهي الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل.

فالاختلاف هو دافع الصراع قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فالصدام بين الحق والباطل والصراع بين المسلمين والكفار وسنة التدافع بينهم متحتمة الوقوع كما قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١] وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥)﴾ [النمل: ٤٥] وقال تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] وقال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] وقال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] وقال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال تعالى ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١)﴾ [النساء: ١٠١].

والأدلة على ذلك كثيرة ستأتي في ثنايا الكلام.

بداية الصراع

بداية الصراع كان بين آدم والشيطان بعد النزول إلى الأرض عندما قال تعالى ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦)﴾ [البقرة: ٣٦] وقال تعالى ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣] ثم قابيل وهابيل ثم الأنبياء وأقوامهم إلى زمننا هذا.

استمداد الصراع

هذا الصراع مستمد من العداوة الدائمة بين الشيطان وحزبه وبين أهل الحق من بني آدم كما قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] وقال تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] وقال تعالى ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠] وقال تعالى ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] وقال تعالى ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)﴾ [البقرة: ١٦٨].

هدف الشيطان

إغـــواء النـــاس إيقـــاعهم في الكفـــر كمـــا قـــال تعـــالى ﴿لَأُغْـــوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِـــينَ (٨٢)﴾ [ص: ٨٢] ﴿وَلَأُضِـلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩] وقـال تعـالى ﴿كَمَثَـلِ الشَّـيْطَانِ إِذْ قَـالَ لِلْإِنْسَـانِ اكْفُـرْ﴾ [الحشر: ١٦] ولهـذا أرسـل الله الرسـل وأنـزل الكتـب مـن أجـل دعـوة النـاس وإخـراجهم مـن الباطـل إلى النـور الحـق ومقابلـة هذا الاندفاع نحو الإنسان من قبل الشيطان باندفاع مثله.

كثرة أهل الباطل وقلة أهل الحق

ومن سمات هذا الصراع أن اهل الباطل لهم الكثرة والقلة هي لأهل الحق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ [يوسف: ١٠٣] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)﴾ [الأعراف: ١٧] قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠] قال سُبحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. يقول سُبحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣)﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿لَا يَعْلَمُونَ (١٣)﴾ [البقرة: ١٣] ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧)﴾ [الأنعام: ٣٧]، ﴿لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ (٦)﴾ [البقرة: ٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص: ٢٤] وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطَ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلَ وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ» رواه البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢٢٠) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء» رواه مسلم (١٤٥) وقال صلى الله عليه وسلم «وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» متفق عليه (٦٥٢٨) (٢٢١).

طريق أهل الحق واحد وطرق أهل الباطل كثيرة

ومن سماته أن طريق أهل الحق واحد مستقيم وطرق أهل الباطل والضلال كثيرة معوجة، كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال تعالى ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] فالظلمات جمع والنور واحد.

البداية والنهاية من حيث الغلبة هي لأهل الحق

أما البداية، فقد قال تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)﴾ [البقرة: ٢١٣]

قال ابن جرير -رحمه الله- في تفسيره (٣/٦٢٦): "فإن دليل القرآن واضح على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة، إنما كانوا على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به".

ويؤيد ذلك ما جاء عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أنه قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين" رواه ابن جرير (٣/٦٢١).

فالناس كلهم كانوا على الحق ثم تم التغيير والتبديل ودخل بعضهم في الباطل، فيمكن أن يكون هناك زمان يكون فيه الجميع أهل حق، ويمكن أن يكون هناك زمان يكون الجميع فيه أهل باطل كما سيأتي في الذين تقوم عليهم الساعة.

وأما في النهاية فسيأتي إن شاء الله عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

وكذلك كان هناك فترة كان الناس فيها كلهم على الحق وهي الفترة التي بعد الطوفان في عهد نوح عليه السلام، قال تعالى (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ).

من يمثل الحق ومن يمثل الباطل

جبهة الخير والحق يمثلها الرسل عليهم الصلاة والسلام واتباعهم أي أتباع الحق وهم المؤمنون بشكل عام كما قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ٣] وجبهة الشر والباطل يمثلها الشيطان واتباعه، أو كل جبهة اخرى غير جبهة اتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام أي أتباع الباطل وهم الكفار كما سبق في الآية وكما في قوله تعالى ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

ومن جبهة الباطل، اليهود والنصارى (اهل الكتاب) والوثنيون والبوذيون والهندوس والبهائيون والقاديانيون والشيوعيون والملحدون والمشركون والمنافقون.

الموقف الوسط بين الجبهتين

قال الشيخ أبو قتادة حفظه الله:" لا بد أن تتخذ موقفًا بعد أن ينفصل الناس إلى مؤمن أو كافر، وتحدث الخصومة بين الإيمان والكفر النظّارة لا وجود لهم – النَّظَّارة يعني الجمهور المشاهدين–، والقرآن يقرر أن النَّظَّارة هم المنافقون، بعد أن ينفصل الحق في صورته البيّنة الواضحة وجماعته بيِّنة وواضحة، حينئذ وقوف الناس ليتفرجوا هذا نِفاق، هذه الآية نُسميها آية الجماهير: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ [النساء: ١٤١]؛ يتربّصون أي جالسون على المدرَّجات ينتظرون النتيجة، ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١]؛ هذه هي صورة النَّظّارة، وهؤلاء لهم أحكام، واحد يقول لك: "أنا ما الي دخل"، لكن الله لا يقبل منك لأنه سيُجري من الأوضاع والأحوال بين الحق والباطل ما يجب عليك أن تتخذ الموقف".

وعود الحق لأهل الحق ووعود رأس الباطل لأهل الباطل

وعد الله تعالى أهل الحق بالنصر والتمكين على أهل الباطل ولا اصدق من الله وعدا وقيلا كما قال تعالى ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم: ٥-٦].

وقال تعالى ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)﴾ [الزمر: ٢٠].

وقال تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)﴾ [آل عمران: ٩].

وقال تعالى ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)﴾ [النساء: ٨٧].

وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢)﴾ [النساء: ١٢٢].

وقال تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤].

وقال تعالى ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩)﴾ [الأنبياء: ٩].

وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وقال تعالى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقال تعالى ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص: ١٣].

وقال تعالى ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [يونس: ٥٥].

وقال تعالى ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦)﴾ [الأحقاف: ١٦].

وقال تعالى ﴿وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الأحقاف: ١٧].

وقال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)﴾ [الرعد: ٣١].

وقال تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧].

وقال تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقال تعالى ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وأما وعد الشيطان لأهل الباطل فهي وعود كاذبة مغرورة مخلفة ممنية لهم في الباطل كما قال تعالى عن الشيطان ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠)﴾ [النساء: ١٢٠].

وقال تعالى ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤)﴾ [الإسراء: ٦٤].

وقال تعالى ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وقال تعالى ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦)﴾ [الحشر: ١٦].

وقال تعالى ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠)﴾ [فاطر: ٤٠].

وقال تعالى ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وأما وعوده لأهل الحق فإن يعدهم بالفقر والتخويف من أوليائه كما قال تعالى ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وقال تعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

محور الصراع

الصراع الذي كان يدور بين الأنبياء وبين خصومهم وأقوامهم لم يكن يدور حول كل الدين والحق الذي معهم ويدعون إليه وإنما كان حول بعض ما معهم من الحق كما قال تعالى ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩] وقال تعالى ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)﴾ [الإسراء: ٧٤] وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦)﴾ [محمد: ٢٥-٢٦].

ولو نظرنا إلى حال قس بن ساعدة وعمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهم لوجدنا أن المشركين لم يكونوا ينشئوا صراعات معهم لكونهم الحق الذي معهم ناقصا وقاصرا وهم معذورون فيه لأن ذلك غاية استطاعتهم في الوصول الى الحق لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وهذا فيه رد على من يتنازل عن بعض الحق لأجل أهل الباطل ويتمسك ببعضه مع بلوغه له ويظن أنه بذلك على الجادة.

وهذا البعض الذي يدور عليه محور الصراع يختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان بحسب الباطل المنتشر وبحسب قوة تحرك الباطل ضد الحق، ولهذا نجد دعوة الأنبياء بعد التوحيد تختلف من نبي إلى آخر فدعوة لوط عليه السلام ليست مثل دعوة شعيب وهكذا.

[مستفاد من الشيخ أبو قتادة حفظه الله]

غاية أهل الباطل من الصراع وغاية أهل الحق

وغاية الكفار من حرب المؤمنين هي طمس الحق الذي معهم وإطفاء نور الله بقتلهم أو ردّهم عن الحق إلى باطلهم كما قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)﴾ [التوبة: ٣٢] وقال تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)﴾ [الصف: ٨] وقال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال تعالى ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)﴾ [الكهف: ٢٠] وقال تعالى ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] وقال تعالى ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩] وقال تعالى ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢)﴾ [الممتحنة: ٢].

وأما غاية أهل الحق المؤمنين فهي هداية أهل الباطل وإدخالهم في الحق الذي يدعون إليه وجعلهم يتركون أهل الباطل وطريقتهم في ذلك هي الدعوة والجهاد كما قال تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾ [فصلت: ٣٣] وقال تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وهذه الغايات هي منشأ الصراع ومنبعه.

تحقق الغايات

سيتحقق لأهل الباطل بعض غايتهم فيسلطون على بعض أهل الحق فيقتلون بعضهم ويردون آخرين إلى باطلهم ويستجيب لهم بعض أهل الحق ويلحق بهم ويبدلون ويغيرون الحق الذي معهم، لكن لن تتحقق لهم غايتهم كاملة فيقتلون جميع أهل الحق أو يردون جميع أهل الحق إلى باطلهم كما سيأتي في الظهور الكلي لأهل الباطل على أهل الحق، وسيتحقق لأهل الحق بعض غايتهم فيدخلون بعضا من أهل الباطل معهم، ويمحقون بعضا آخر من أهل الباطل ويبقى بعض منهم، ولكن في العاقبة والنهاية ستتحقق لهم غايتهم كلها فلا يبقى على الأرض أحد من أهل الباطل وذلك حين ينزل عيسى ابن مريم كما سيأتي إن شاء الله.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]

قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: «ألا لَيُذَادَنَّ رجال عن حوْضى كما يُذَاد البعير الضال، أناديهم: «ألا هَلُمَّ»، فيقال: «إنهم قد بدلُوا بعدكَ»، فَأَقُولُ: «سُحْقًا سُحْقًا» رواه البخاري (٦٥٨٤) ورواه مسلم (٢٤٩).

ثبات صور وأساليب الصراع

صور معاداة الكافرين للمؤمنين ثابتة لا تتغير بتغير الرسل والأمم والأزمان كما قال تعالى ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣] وقال تعالى ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٨]، وقال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

شكل الصراع

معركـة الحـق والباطـل معركـة ظهـور وغلبـة في بعـض الأحـوال وفي بعضـها معركـة وجـود وذلـك يختلـف بحسـب أهـل الباطـل ومقـدرتهم وهمـتهم في هـذا الصـراع، فقـد يطلبـون محـو أهـل الحـق مـن الوجـود مطلقـا دون الغلبـة علـيهم، وقـد يطلبـون الغلبـة علـيهم دون محـوهم بحسـب المقـدرة والهمـة، وأمـا أهـل الحـق فيختلـف الامـر كـذلك بحسـب التشـريعات الـتي شـرعت لهـم مـن قبـل الحـق سـبحانه وتعـالى وبحسـب انتصـار الله تعـالى لهـم، ففـي التشـريع الإسـلامي يجـوز وجـود أهـل الباطـل مغلـوبين ومحكـومين مـن قبـل أهـل الحـق تحـت مظلـة الجزيـة والذمـة وفي آخـر الزمـان لا يبقـى إلا الحـق ولا وجـود للباطـل عنـدما ينـزل عيسـى ابـن مـريم عليـه السـلام، فيكسـر الصـليب ويقتـل الخنزيـر ولا يقبـل الجزيـة، وكـذلك يختلـف الحـال بحسـب انتصـار الله تعـالى لهـم فيمـا سـلف مـن الأمـم، فيمحـو الله تعـالى أهـل الباطـل مـن الوجـود مطلقـا بعذابـه وانتقامـه كمـا حصـل مـع نـوح عليـه السـلام وكمـا حصـل مـع موسـى عليـه السلام مع فرعون.

وأمـا قولـه تعـالى ﴿وَقَـاتِلُوهُمْ حَـتَّى لَا تَكُـونَ فِتْنَـةٌ وَيَكُـونَ الـدِّينُ كُلُّـهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] فعـدم الكـون هنـا معنـاه حـتى لا يكـون هنـاك كفـر ظـاهر لـه سـلطان وقـوة وشـوكة بحيـث يفـتن النـاس ولـيس المقصـود عـدم وجـود الكفـر أصـلا لأن الشـريعة أجـازت إقـرار الكفـار علـى ديـنهم إذا دفعـوا الجزيـة لنـا ودخلـوا تحت ذمتنا [مستفاد من الشيخ أبي قتادة حفظه الله].

وعلـى العمـوم فـالحق والباطـل ضـدان لا يجتمعـان أبـدا، فوجـود أحـدهما علـى أرض الواقـع يسـتلزم ولابـد محـو الآخـر أو إضـعافه، فـلا يتصـور في ميـدان الواقـع أن يتعـايش الحـق مـع الباطـل علـى أرض واحـدة مـن دون غلبـة أحـدهما علـى الآخـر أو سـعي لتحقيـق هـذه الغلبـة، وحـتى ولـو فـرض أن الحـق اسـتكان حقبـة مـن الـزمن وأحجـم عـن مزاحمـة الباطـل ومدافعتـه، فـإن الباطـل لـن يقابـل هـذه الاسـتكانة والإحجـام بالوقـوف وعـدم الإقـدام بـل لـن يقابـل هـذه الاسـتكانة إلا بصـولة يسـتعلي بهـا علـى الحـق وأهلـه، يـروم مـن خلالهـا النيـل مـنهم والقضـاء علـيهم أو علـى الأقـل تجريـدهم مـن أهـم مـا يميـزهم عـن الباطـل وأهلـه عـبر سلسـلة مـن التنـازلات لا تبقـي لهـم مـن الحـق إلا اسمـه ولا مـن منهجـه غـير رسمـه ليغـدو في نهايـة المطـاف جـزءا مـن مملكـة الباطـل وذيـلا مـن أذيالـه، كمـا قـال تعـالى ﴿كَيْـفَ

وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨] وقال تعالى ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)﴾ [الكهف: ٢٠] فأخبر سبحانه أن أهل الباطل إن ظهروا على أهل الحق واستعلوا عليهم – وذلك يكون بتركهم الجهاد والمدافعة – فإنهم لا يراقبون فيهم لا قرابة ولا عهدا بل إما أن يقتلوهم أو يدخلوهم في الكفر.

والأمثلة الواقعية خير شاهد لهذا بعد الأدلة السابقة من القرآن وقد قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣] فهنا الباطل يطلب من الحق إما زواله بالخروج من الأرض سواء كان ذلك بالقتل أو الطرد أو التشريد أو غير ذلك وإما أن يتنازل عن الحق الذي معه ويدخل معه في الباطل وهذا ما يأباه هذا الدين وهذا الحق لأتباعه.

فالباطل لا يقر وجود فئة مومنة تؤمن بالله ورسالاته في ديارهم، وإن كانت هذه الفئة مجردة من كل أسباب القوة المادية، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [المائدة: ٥٩] وقال تعالى ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨)﴾ [البروج: ٨]. (مستفاد بعضه من الشيخ أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله).

فمن ظن أنه بمجرد تركه لمدافعة الباطل وأهله وعدم جهاده وقتاله أن الباطل سيتركه وشأنه، فقد خالف الأدلة الشرعية والقدرية من السنن الإلهية وأوقع نفسه والأمة في المهالك، ومن ترك الجهاد أو نهى عنه بزعمه أنه يستعدي الكفار عليه، فهو لم يفهم سنة الصراع بين الحق والباطل، فإن عداء الكفار لأهل الحق باق جاهد أهل الحق أو لم يجاهدوا، وأن الكفار لن يرضوا عن أهل الحق حتى يتبعوا ملتهم وأنهم ما زالوا يحاربونهم ويريدون لهم الشر قاتلهم أهل الحق أو تركوهم.

قال سيد قطب في الظلال (٢٤٢٥) "فالباطل متبجح لا يكف ولا يقف عن العدوان إلا أن يدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول. ولا يكفي الحق أنه الحق ليقف عدوان الباطل عليه، بل لا بد من القوة تحميه وتدفع عنه. وهي قاعدة كلية لا تتبدل ما دام الإنسان هو الإنسان!".

قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في تسجيل صوتي" لابد من استحضار طبيعة العلاقة بين الحق والباطل، فالحق لابد أن يتحرك لإثبات ذاته، ولا يكون ذلك إلاّ بزوال الباطل، فهما شيئان

متناقضان لا يوجد أحدهما إلاّ بانتفاء الآخر، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، وحتى إذا لم يتحرك الحق فإن الباطل سوف يتحرك لأنه لا يطيق وجود غريمه بجانبه، وهذه بالذات هي طبيعة العلاقة بين المؤمنين والكافرين، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ٣] ''انتهى.

وقال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله عن أهل الباطل في تسجيل صوتي''هذه الجبهة لا يمكن ان تهدأ في الكيد للإسلام واهله اما المشركون فيقول الله عنهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] أما اهل الكتاب فيقول الله عز وجل فيهم: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] ولئن كفوا عن القتال او الكيد الظاهري برهة من الزمن فالكف خلاف القاعدة ويعتبر شذوذا في سير التاريخ الاسلامي.

وما دام المؤمنون مؤمنين والكفار كافرين فلن يهدأ اوار الحرب ولن تخبو نارها.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩)﴾ [المائدة: ٥٩] فالنقمة والحقد امر دائم لان السبب موجود وهو ايمان المؤمنين وفسق الكافرين وظلمهم''انتهى.

وهذا كله يدل على بطلان فكرة السلام العالمي وشعاراته أو التعايش مع الآخر.

وقد قال الأستاذ محمد محمد حسين (الإسلام والحضارة الغربية ص ١٩٢): ''وقد جربنا الكلام عن الإنسانية والتسامح والسلام، وحقوق الإنسان في عصرنا، فوجدناه كلاماً يصنعه الأقوياء في وزارات الدعاية والإعلام، لِيَنْفَق ويروج عند الضعفاء، فهو بضاعة للتصدير الخارجي، وليست معدَّة للاستهلاك الداخلي، لا يستفيد منها دائماً إلا القوي، لأنها تساعد على تمكينه من استغلال الضعيف الذي يعيش تحت تخدير هذه الدعوات، في ولاء مع مستغلّه ومستعبده يستنفد طاقاته وقدراته في الأحلام بدل أن يوجهها لعمل نافع، يحرِّره من قيود ضعفه وعجزه..''.

قـال سـيد قطـب رحمـه الله في الظـلال (٢٤٢٤): " ومـن ثم أذن الله للمسـلمين بعـد الهجـرة في قتـال المشـركين ليـدفعوا عـن أنفسـهم وعـن عقيـدتهم اعتـداء المعتـدين، بعـد أن بلـغ أقصـاه، وليحققـوا لأنفسـهم ولغـيرهم حريـة العقيـدة وحريـة العبـادة في ظـل ديـن الله، ووعـدهم النصـر والتمكـين، علـى شرط أن ينهضوا بتكاليف عقيدتهم التي بينها لهم فيما يلي من الآيات:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾ [الحج: ٣٨-٤١]..

إن قـوى الشـر والضـلال تعمـل في هـذه الأرض، والمعركـة مسـتمرة بـين الخـير والشـر والهـدى والضـلال والصراع قائم بين قوى الإيمان وقوى الطغيان منذ أن خلق الله الإنسان.

والشـر جـامح والباطـل مسـلح. وهـو يـبطش غـير متحـرج، ويضـرب غـير متـورع ويملـك أن يفـتن النـاس عـن الخـير إن اهتـدوا إليـه، وعـن الحـق إن تفتحـت قلـوبهم لـه. فـلا بـد للإيمـان والخـير والحـق مـن قـوة تحميها من البطش، وتقيها من الفتنة وتحرسها من الأشواك والسموم.

ولم يشـأ الله أن يـترك الإيمـان والخـير والحـق عـزلا تكـافح قـوى الطغيـان والشـر والباطـل، اعتمـادا علـى قـوة الإيمـان في النفـوس وتغلغـل الحـق في الفطـر، وعمـق الخـير في القلـوب. فـالقوة الماديـة الـتي يملكهـا الباطـل قـد تزلـزل القلـوب وتفـتن النفـوس وتزيـغ الفطـر. وللصـبر حـد وللاحتمـال أمـد، وللطاقـة البشرية مدى تنتهي إليه.

والله أعلـم بقلـوب النـاس ونفوسـهم. ومـن ثم لم يشـأ أن يـترك المـؤمنين للفتنـة، إلا ريثمـا يسـتعدون للمقاومـة، ويتهيـأون للـدفاع، ويتمكنـون مـن وسـائل الجهـاد.. وعندئـذ أذن لهـم في القتـال لـرد العدوان.

وقبل أن يأذن لهم بالانطلاق إلى المعركة آذنهم أنه هو سيتولى الدفاع عنهم فهم في حمايته: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]..

وأنه يكره أعداءهم لكفرهم وخيانتهم فهم مخذولون حتما: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)﴾ [الحج: ٣٨]..

وأنه حكم لهم بأحقية دفاعهم وسلامة موقفهم من الناحية الأدبية فهم مظلومون غير معتدين ولا متبطرين: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ [الحج: ٣٩].

وأن لهم أن يطمئنوا إلى حماية الله لهم ونصره إياهم: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)﴾ [الحج: ٣٩]..

وأن لهم ما يبرر خوضهم للمعركة فهم منتدبون لمهمة إنسانية كبيرة، لا يعود خيرها عليهم وحدهم، إنما يعود على الجبهة المؤمنة كلها وفيها ضمان لحرية العقيدة وحرية العبادة وذلك فوق أنهم مظلومون أخرجوا من ديارهم بغير حق: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].. وهي أصدق كلمة أن تقال، وأحق كلمة بأن تقال. ومن أجل هذه الكلمة وحدها كان إخراجهم. فهو البغي المطلق الذي لا يستند إلى شبهة من ناحية المعتدين. وهو التجرد من كل هدف شخصي من ناحية المعتدى عليهم، إنما هي العقيدة وحدها من أجلها يخرجون، لا الصراع على عرض من أعراض هذه الأرض، التي تشتجر فيها الأطماع وتتعارض فيها المصالح وتختلف فيها الاتجاهات وتتضارب فيها المنافع! ووراء هذا كله تلك القاعدة العامة.. حاجة العقيدة إلى الدفع عنها:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] "انتهى.

ويمكن أن يظهر لنا ما يرومه أهل الباطل ويتحينونه من الفرص من غفلة أهل الحق عن المدافعة في قوله تعالى ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢].

أساليب الصراع

تختلف الأساليب والطرق التي يدار بها هذا الصراع، فمن أساليب أهل الباطل في صراعهم مع الحق:

المجادلة بالباطل كما قال تعالى ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥] وقال تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨].

وقد جرت سنة الله تعالى أن يكون اللقاء الأول بين دعاة الحق، ودعاة الباطل صراعاً فكرياً يبدأ بالمحاجة والمجادلة، يقدم كل من الفريقين دليله على دعواه كما في حال الأنبياء مع أقوامهم.

وحسب دعاة الحق أنهم يستمدون قوتهم من قوة الله، ويأخذون أدلتهم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

أما دعاة الباطل فليس لهم إلا الحجج الواهية التي ترتكز على ضروب من الجهل والأوهام السخيفة.

ثم إن أهل الباطل إذا دحضت حجتهم وزهقت كما هي العادة دائما يتحول الأمر إلى صراع من طراز آخر، قائم على المكر والكيد ومكابرة الحق من قبل أهل الضلال، ومحاربته والصد عنه عن طريق نشر الأكاذيب على الدعوة والتشكيك بهما ورموزها وتشويه الحقائق ونشر الشبهات، وتزيين الفواحش والدعوة إليها، والاستهزاء بالدعاة وأتباعهم وتحقيرهم بالفعل والقول ثم لا يلبثون بعد ذلك حتى يلجأوا إلى الصراع المسلح والحرب المادية.

فمن أساليب الصراع إذن: الصراع الفكري، والمكر والكيد، والصراع المسلح.

وهم يستخدمون الأموال لتوظيف هذه الأساليب كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦)﴾ [الأنفال: ٣٦].

ومع ذلك فأساليب الصراع مفتوحة بالنسبة لأهل الباطل فهم يمكن أن يلجؤوا إلى كل حيلة ووسيلة توصلهم إلى هدفهم مهما كانت في الدناءة وأما أهل الحق فهم محكومون بالأساليب والطرق الحقة الكاملة المشروعة لهم.

شعارات أهل الباطل في الصراع

وشعارات أهل الباطل في صراعهم هذا هو (لنخرجنكم، لنرجمنكم، لنقتلنكم، لنسجننكم) ولو رجعنا إلى حال كل نبي مع قومه لوجدنا هذه الشعارات ظاهرة على السطح، فقوم نوح يقولون له ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)﴾ [الشعراء: ١١٦] وفي قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول قومه ﴿اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [العنكبوت: ٢٤] ويقول له والده بعد أن دعاه إلى ترك الباطل ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦].

ويقول قوم شعيب له ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨)﴾ [الأعراف: ٨٨].

وقالوا أيضا له ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)﴾ [هود: ٩١].

وأما لوط عليه الصلاة والسلام فقال تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦)﴾ [النمل: ٥٦].

وفي موسى عليه الصلاة والسلام يقول له فرعون ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)﴾ [الشعراء: ٢٩].

وقال تعالى ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠].

وقال تعالى عن فرعون ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧)﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وعيسى عليه الصلاة والسلام يحاول اليهود قتله فيرفعه الله تعالى.

وفي قصة أصحاب الأخدود يقول تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)﴾ [البروج: ١-١٠].

وهي مجموعة في النبي محمد صلى الله عليه وسلم يقول تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

من حكم وغايات هذا الصراع

من الحكم في هذا الصراع الابتلاء والامتحان كما قال تعالى ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

ومن الحكم والغايات إقامة العبوديات اللازمة للصراع والتي لا يمكن أن توجد بدونه كالجهاد في سبيل الله والولاء والحب والبغض في الله والأمر بالحق والنهي عن الباطل وغير ذلك.

ومن الحكم والغايات ظهور الحق وبروزه عبر مناوئة الباطل وأهله قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

والضد يظهر حسنه الضد... وبضدهم تتبين الأشياء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٥٧/٢٨): "من سنة الله: أنه إذا أراد إظهار دينه أقام من يعارضه، فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق".

منتهى الابتلاء في هذا الصراع

إلى أن تبلغ القلوب الحناجر ويظن المؤمنون بالله الظنونا.

إلى أن يزلزل المؤمنون زلالا شديدا.

إلى أن تضيق على المؤمنين أنفسهم وتضيق عليهم الأرض بما رحبت.

إلى أن يمس أهل الحق البأساء والضراء ويخيم اليأس ويستطال وقت النصر.

إلى أن يشغل الهم بعض المؤمنين فلا يدركون ما يدور حولهم.

توقيت ومنتهى الصراع

بدأ الصراع كما سبق من صراع إبليس مع آدم وهو مستمر ودائم ما بقيت الدنيا إلى أن يأتي آخر الزمان، فينتهي الصراع بين الحق والباطل حين ينزل المسيح عيسى بن مريم ويهلك الدجال ويأجوج ومأجوج، فعندئذ لا يبقى على الأرض إلا أهل الحق فقط، ويمحو الله أهل الباطل من الأرض، فلا يبقى أحد منهم يشم نفس عيسى ابن مريم إلا مات ثم لما يموت عيسى ابن مريم ويبدأ الحق وأهله يخفتوا شيئا فشيئا يبعث الله ريحا طيبة فتبقض نفوس أهل الحق فلا يبقى على الأرض إلا أهل الباطل فقط.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكما مقسطا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» رواه البخاري (٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا» قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره» قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال:" كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول

لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه، يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة ''رواه مسلم (٢٩٣٧).

واجب أهل الحق تجاه الصراع

هو الثبات على الحق مهما اشتدت عليهم ظروف الصراع ومدافعة أهل الباطل قدر الإمكان.

قال تعالى ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

خصائص الصراع

ولهذا الصراع خصائص تتجلى فيما يلي:

أولا: أن أهل الباطل لا يتحملون جوار بل وجود أهل الحق على الأرض والخيار الأمثل لأهل الباطل ضد أهل الحق هو إرجاعهم عن دينهم، وجعلهم يتركون الحق الذي معهم ويدخلون في باطلهم كما سبق في النصوص، وذلك عبر المجادلة بالباطل أو التعذيب أو قذف الشبهات أو غيرها، فإن لم يمكن طرح الخيار الآخر.

ثانيا: أن الخيار الأمثل المطروح لأهل الباطل ضد أهل الحق إذا لم يجد خيار الارتداد عن الحق إلى الباطل هو القتل والإنهاء كليا، والدليل على هذا قول قابيل ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧] مع إمكان أن يقول أخرج من أرضي، فخيار الإنهاء بالنسبة لأهل الباطل هو الحل الأمثل، فإن لم يمكن طرح الخيار الذي بعده وهو:

ثالثا: الخيار الذي يأتي بعد ذلك هو إبعاد أهل الحق عن أهل الباطل وعزلهم والمفاصلة كما سبق في النصوص الشرعية أن أهل الباطل كثيرا ما يطرحون خيار الإخراج من الأرض وكذلك يطرح في هذا خيار السجن.

رابعا: أنه من أجل هذا الهجوم من أهل الباطل شرعت سنة التدافع، لأنه يجب أن يردع أهل الباطل عن استهدافهم لأهل الحق ونشرهم لباطلهم في الأرض.

خامسا: أن ترك دفع أهل الباطل وترك جهادهم تحت أي حجة وذريعة لا يزيد أهل الحق إلا وهنا ولا يزيد أهل الباطل إلا شرا وعدوانا وتجبرا على أهل الحق.

سادسا: أن أهل الحق كذلك لا يقبلون بوجود أهل الباطل وواجب عليهم شرعا في بعض الأوقات أن يقاتلوهم ويستأصلوا شأفتهم ويرضخوا الباطل للحق الذي معهم كما قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣] وقال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

سابعا: أن الصراع بين أهل الحق والباطل صراع أزلي مستمر منذ أن خلق الله أهل الباطل وأهل الحق لا تهدأ معاركه، ولا تخبو جذوته، ولا تنتهي حوادثه إلى أن تقوم الساعة أو تبقى الأرض على مرتبة واحدة من الحق أو الباطل.

ثامنا: أن الصراع ما بين الطرفين سجال ودول تارة تكون لأهل الحق على أهل الباطل وتارة العكس كما قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وكما قال أبو سفيان لهرقل" الحرب بيننا سجال يدال علينا وندال عليه "رواه البخاري (٢٩٤٠).

تاسعا: أن أهل الباطل لا ينفذ لهم شيء من كيدهم وطغيانهم وتسلطهم على أهل الحق إلا بإذن الله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] فهو مقيد مغلول وكيدهم وخداعهم مع ذلك ضعيف كما قال تعالى ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)﴾ [النساء: ٧٦] وهو مقابل بكيد الله المتين بهم لأجل أهل الحق كما قال تعالى ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣)﴾ [الأعراف: ١٨٣] وقال تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)﴾ [الطارق: ١٥-١٦] وقال تعالى ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] وقال تعالى ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)﴾ [النمل: ٥٠-٥١] وهذا الكيد من قبل أهل الباطل لا يضر أهل الحق ما داموا متمسكين بأمرين الصبر والتقوى كما قال تعالى ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

عاشرا: أن الباطل قد يصول ويستطيل على أهل الحق في دولته وتبلغ قوته مدى يتسلط فيها عليهم ويذلهم، لكن مهما بلغت قوة الباطل وصولته، ومهما كانت دولته وكثرته فإن العاقبة ستكون بإذن الله دائما لأولياء الله المتقين ودعاته المخلصين.

فقد تتكاثف الظلمات، ويضعف الحق في فترة من الفترات، ولكن إلى حين، فإن النور لا بدّ وأن ينبثق، ويعلو صوت الحق، وقد قال الله في كتابه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)﴾ [المجادلة: ٢١]

الحادي عشر: أن العاقبة دائما لأهل الحق على أهل الباطل سواء أكان ذلك عبر العذاب الإلهي المحض ومحق أهل الباطل كما في قصص الأنبياء السابقين أو عبر الجهاد والقتال والتعذيب بأيدي أهل الحق وذلك كما قال تعالى ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)﴾ [الأعراف: ١٢٨] وقال تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥)﴾ [القصص: ٥] وقال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وكما قال هرقل لأبي سفيان عندما قال له إن الحرب بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم سجال قال"وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة"رواه البخاري (٢٩٤٠) وقال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)﴾ [التوبة: ٣٢] وقال تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)﴾ [الصف: ٨].

ولهذا يقال أنه سئل الحق أين كنت عند صولة الباطل؟ فقال: كنت في أصله من أجل أن اجتثه.

الثاني عشر: أن الله تعالى قد ينتصر لأهل الحق على أهل الباطل بنفسه سبحانه ويمحق الباطل وأهله كما في حال أكثر الأنبياء وأقوامهم وإهلاكه سبحانه أهل الباطل بعذاب من عنده، وقد ينتصر لأهل الحق على أهل الباطل بأيدي أهل الحق كما في حال النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه وقد قال تعالى في الجمع بين الأمرين ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة: ٥٢].

الثالث عشر: أن الله تعالى قد يملي لأهل الباطل ولا يعذبهم في الدنيا ويؤخر عنهم العذاب إلى يوم القيامة وهذا أشد عليهم كما قال تعالى ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧] وقال ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣)﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

وقـال تعـالى ﴿فَـذَرْهُمْ يَخُوضُـوا وَيَلْعَبُـوا حَـتَّى يُلَاقُـوا يَـوْمَهُمُ الَّـذِي يُوعَـدُونَ (٤٢) يَـوْمَ يَخْرُجُـونَ مِـنَ الْأَجْـدَاثِ سِـرَاعًا كَـأَنَّهُمْ إِلَى نُصُـبٍ يُوفِضُـونَ (٤٣) خَاشِـعَةً أَبْصَـارُهُمْ تَـرْهَقُهُمْ ذِلَّـةٌ ذَلِـكَ الْيَـوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)﴾ [المعارج: ٤٢-٤٤].

وقد يعجل الله العذاب لبعض أهل الباطل في الدنيا أحيانا.

الرابـع عشـر: أن الباطـل قـد يجعـل للحـق فسـحة إمـا لغـروره وإمـا لاضـطرابه وإمـا لعـدم معرفتـه، أو لقوله اتركه فهو بين أيدينا تحت السيطرة.

الخـامس عشـر: أن التـألم والجـراح تصيب أهـل الباطـل كمـا تصيب أهـل الحـق وأن أهـل الباطـل يتـألمون مـن سـنة المدافعـة كمـا يتـألم أهـل الحـق مـادام أهـل الحـق يـدافعونهم قـال تعـالى ﴿إِنْ تَكُونُـوا تَأْلَمُـونَ فَـإِنَّهُمْ يَأْلَمُـونَ كَمَـا تَأْلَمُـونَ﴾ [النسـاء: ١٠٤] وقـال تعـالى ﴿إِنْ يَمْسَسْـكُمْ قَـرْحٌ فَقَـدْ مَـسَّ الْقَـوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وإن كان أهل الحق قد يجهلون بألمهم وقياسه.

السـادس عشـر: أن أهـل الباطـل قـد يتصـارعون فيمـا بيـنهم وتكـون الغلبـة فيـه للأقـوى كمـا قـال تعـالى ﴿الم (١) غُلِبَـتِ الـرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُـمْ مِـنْ بَعْـدِ غَلَـبِهِمْ سَـيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْـعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١-٤] وذلك في صراع الروم وفارس.

السـابع عشـر: أن أهـل الحـق قـد يتصـارعون فيمـا بيـنهم ويكـون هـذا الأمـر سـببا لضـعف أهـل الحـق وتسـلط أهـل الباطـل علـيهم كمـا قـال تعـالى ﴿وَلَا تَنَـازَعُوا فَتَفْشَـلُوا وَتَـذْهَبَ رِيحُكُـمْ﴾ [الأنفـال: ٤٦] وهـذا كمـا سـيأتي في حـديث مسـلم (٢٨٨٩) وفيـه" وإن ربي قـال: «يا محمـد، إني إذا قضـيت قضـاء فإنـه لا يـرد، وإني أعطيتـك لأمتـك ألا أهلكهـم بسـنة عامـة. وألا أسـلط علـيهم عـدوا مـن سـوى أنفسـهم يسـتبيح بيضـتهم، ولـو اجتمـع علـيهم مـن بأقطارهـا - أو قـال: مـن بـين أقطارهـا - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا» وهذا مشاهد في التاريخ.

الثـامن عشـر: أن ظهـور أهـل الحـق قـد يختلـف باخـتلاف الأزمنـة والأمكنـة، ففـي بعـض الأمكنـة يكونـوا أقـوياء ظـاهرين علـى أهـل الباطـل، وفي بعضـها يكونـوا ضـعفاء يسـتلط علـيهم أهـل الباطـل،

وكـذلك في بعـض الأزمنـة يكونـوا ظـاهرين علـى أهـل الباطـل وفي بعضـها يتسـلط علـيهم أهـل الباطـل، وهذا مشاهد بواقع الحال.

التاسـع عشـر: أن الظهـور الكلـي لأهـل الباطـل علـى أهـل الحـق ممنـوع كونيـا في أمـة النـبي صـلى الله عليه وسلم، والمعنى أن يسلط أهل الباطل على أهل حتى يستأصلوا شأفة أهل الحق.

عـن ثـوبان رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيـت مشـارقها ومغاربهـا، وإن أمـتي سـيبلغ ملكهـا مـا زوى لي منهـا، وأعطيـت الكنـزين الأحمـر والأبـيض، وإني سـألت ربى لأمـتي ألا يهلكهـا بسـنة عامـة، وألا يسـلط علـيهم عـدوا مـن سـوى أنفسـهم، فيسـتبيح بيضـتهم، وإن ربى قـال: يا محمـد، إني إذا قضـيت قضـاء فإنـه لا يـرد، وإني أعطيتـك لأمتـك ألا أهلكهـم بسـنة عامـة. وألا أسـلط علـيهم عـدوا مـن سـوى أنفسـهم يسـتبيح بيضـتهم، ولـو اجتمـع علـيهم مـن بأقطارهـا – أو قـال: مـن بـين أقطارهـا – حـتى يكـون بعضـهم يهلك بعضا، ويسبى بعضهم بعضا» رواه مسلم (٢٨٨٩).

وعـن خبـاب بـن الأرت رضـي الله عنـه قـال: صـلى بنـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم صـلاة، فأطالهـا. قـالوا: يا رسـول الله! صـليت صـلاةً لم تكـن تصـليها قـال: «أجـل، إنهـا صـلاة رغبـة ورهبـة، وإني سـألت الله فيهـا ثـلاثاً، فأعطـاني اثنتـين ومنعـني واحـدة، سـألته أن لا يهلـك أمـتي بسـنة فأعطانيهـا، وسـألته أن لا يسـلط علـيهم عـدواً مـن غـيرهم فأعطانيهـا، وسـألته أن لا يـذيق بعضـهم بأس بعض فمنعنيها» رواه الترمذي (٢١٧٥).

وعـن أبي مالـك الأشـعري رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: «إن الله عـز وجـل أجـاركم مـن ثـلاث خـلال: أن لا يـدعو علـيكم نبـيكم فتهلكـوا جميعـاً، وأن لا يظهـر أهـل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلالة» رواه أبو داود (٤٢٥٣) وفيه ضعف.

العشـرون: أن صـفة أهـل الحـق أنهـم يتواصـون بالحـق الـذي هـم عليـه كمـا قـال تعـالى ﴿وَالْعَصْـرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَـانَ لَفِـي خُسْـرٍ (٢) إِلَّا الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ وَتَوَاصَـوْا بِالْحَـقِّ وَتَوَاصَـوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١-٣] وكـذلك مـن صـفة أهـل الباطـل أنهـم يتواصـون بالباطـل الـذي هـم عليـه

كما قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)﴾ [الأنعام: ١١٢].

الحادي والعشرون: أنه لا يزال هناك طائفة من أهل الحق ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم يقاتلون على الحق الذي معهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم كما جاءت بذلك الأحاديث الكثيرة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» رواه البخاري (٣٦٤٠).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة» رواه مسلم (١٥٦).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» رواه مسلم (١٩٢٠).

وبعض هذه النقاط مستفاد من الشيخ أبي مصعب السوري في كتابه دعوة المقاومة.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين